

خطاب الرئيس محمد أنور السادات

فى الذكرى الثانية والعشرين

لثورة ٢٣ يوليو

فى ٢٣ يوليو ١٩٧٤

بسم الله

أيها الأخوة والأخوات

تمر الأيام والسنون وتبقى تلك الليلة الخالدة التى خلت منذ ٢٢ عاماً تبقى ماثلة فى وجدان جيلنا لا تنسى ذكراها ولا ينطفىء نورها . ففى تلك الليلة المشهودة كانت الأحداث التى لم تستغرق سوى ساعات تعتمر فى ثنايا هذه الساعات القليلة الآم قرون طويلة مضت وتحدد آمال أجيال كثيرة مقبلة قبل أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، كان الصراع قد حسم نهائيا لمصلحة الشعب ، وكانت تلك الليلة قد أعطت شعبنا عطاء سخيا ما زالت آثاره تتوالى وتتجدد حتى يومنا هذا ، وإذا كان البيان الأول الذى حملته أمواج الأثير حين انبلج صباح ذلك اليوم ليحمل بالنسبة لى وبالنسبة لأخوة آمنوا بربهم وبوطنهم فقاموا فى تلك الليلة ، أقول اذا كان هذا البيان يحمل بالنسبة لى ذكرى خاصة فإن كل من كان فى سن الوعى على أرضنا فى ذلك الصباح البعيد منذ ٢٢ عاما ، لا شك أنه مازال يذكر تلك الشحنة الكهربائية التى سرت فى أوصال الأمة مع كلمات ذلك البيان الأول فأضاءت كل قلب مخلص وهزت الى الأعماق كل ضمير وطنى

ولقد تجلى هذا على الفور حين أدرك الشعب مغزى ذلك البيان الموجز فانطلقت جماهيره تؤيد ما حدث فى موجة من الحماس الجارف والإجماع الذى لا نظير له والذى أسقط جبروت الطغيان والفساد السابق فى لحظات بهذا الإجماع الثورى اكتسبت الحركة صفتها كثورة وليس كمجرد انقلاب ، وبهذا الإجماع الشعبى الفذ اكتسبت الثورة منذ الساعات الاولى شرعيتها الكاملة المستمدة من إرادة الشعب ولم يكن ما تم فى تلك الليلة عفويا ولا مرتدا ولم يكن مغامرة دفع إليها الحماس ، بالعكس لقد كان ذلك نتيجة جهد ، وتأمل وعمل طويل ، محفوف بالمخاطر ، ونتيجة صبر طويل قاس حين كان الغليان الشعبى فى كل مكان ينم عن نفاد الصبر كذلك لم تنبت أحداث تلك الليلة من فراغ ولا انفردت بانضاجها الطلائع الثورية التى كان عليها ان تتحمل المسئولية التاريخية فى تلك الليلة الخالدة ، إنما جاءت تلك الليلة والحركة الوطنية المصرية فى إحدى قمم نضالها والنظام القديم فى قمة تفسخه وانحلاله ، فقد كانت الوزارات تعيش بالأيام بل وبالساعات وكان مجرد تمارض السفير البريطانى يزلزل أركان الحكم ، كانت الرشوة السافرة تلعب دورها فى تشكيل الوزارات وإسقاطها ، كان محصول البلاد الرئيسى ونتاج عرق جماهيرها وهو القطن محل مضاربات شهيرة بين أصحاب السلطة على أهم مصدر لقوت الشعب ، ووصل الكفاح الوطنى ضد الاحتلال الانجليزى الى طريق مسدود بحريق القاهرة وإسدال ستار من الظلام على طموح الجماهير . وكانت الصيحات المطالبة بالقليل من العدل واليسير من التحول الاجتماعى قد ضاعت هباء إزاء تحكم النصف فى المائة الذين كانوا يستأثرون بكل شىء وباتت مصر كلها على شفى

أحداث لو انطلقت لاتخذت طريقا دمويا شاملا كما حدث أمام اعيننا فى بلاد كثيرة ولكن ثورة ٢٣ يوليو حملت معها الخلاص دون إراقه قطرة من دماء وجنبت البلاد خلال عملية التحول المحتوم أهوالا عرفتها وتعرفها بلاد غيرنا . كانت بهذا أيضا منسجمة مع طبيعة هذا الشعب المتحضر العريق الذى لا يستمع الى نداءات الصراع الدموى ولا يحل مشكلة علي أعواد المشانق ، ولا بد أن نذكر في هذا اليوم بكل مشاعر الاجلال والوفاء الزعيم الخالد جمال عبد الناصر مفجر ثورة ٢٣ يوليو

لقد خضنا معه قبل قيام الثورة ، امتحان التنظيم والترتيب والمخاطرة والحساب ، و امتحان الاحساس بالضمير العام للأمة ، واستلها مآلها الحقيقية فى وجه جموح السلطة البائدة وجبروتها ودعاياتها التى لم تفلح فى أن تضلل الشعب عن عفنها الداخلى وخضنا معه بعد قيام الثورة المعارك التى شنت علينا من اليوم الأول سواء بقصد احتوائها أو تدميرها أو تمزيقها من الداخل. واستطعنا معه - عبر التحديات المحلية والدولية والتي تحالفت فيها ضدنا أحيانا أعني وأخبت الوسائل - استطعنا أن نحقق انجازات غيرت وجه الحياه فى مصر وغيرت دور مصر فى العالم

إن تحرير الإرادة الوطنية وإقامة أول سلطة مصرية منذ قرون وإجلاء الاحتلال بعد ثلاثة أرباع القرن ومعارك تأمين قناه السويس وبناء السد العالى وإقامه قاعدة الصناعة الوطنية الكبرى وإعاده توزيع الملكية الزراعية وإقامة القطاع العام وتحقيق مكاسب العمال وتعميم حقوق التعليم والتأمين والعلاج والمكانة التى صارت لمصر على المستوى العربى والدولى ، أن هذه كلها ليست سوى علامات أو عناوين تدرج تحتها

مئات التفاصيل والتجارب ، والمواقف ، عشناها كلها مع عبد الناصر
وزاملناه خلالها وهو فى وقت العواصف الهوجاء وشاهدنا معاً تلك
المشاهد كلها

أيها الأخوه والاخوات

إننى هنا لا أروى قصة نضالنا الوطنى كاملة منذ ٢٣ يوليو سنة ٥٢ بما
كان لابد أن يصاحبها من هزائم وانتصارات ومن سلبيات وإيجابيات ولا
شك أننا فى سبيل هذه الأهداف العليا التى أخذناها على أنفسنا قد تحملنا
الكثير ودفعنا الكثير ولكننا حين ننظر الى المحصلة الأخيرة سوف نجد
أن التجربة المصرية كانت من أبرز التجارب فى العالم الثالث منذ هبت
رياح التحرير والتغيير على هذا العالم عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية

كذلك فإن هذه التجربة كانت رائدة فى الكثير من المجالات والتجربة
الرائدة التى تتقدم غيرها هى التى تواجه عادة بأعنف المقاومة وهى التى
تتعرض عادة لمزلق ارتياد الآفاق الجديدة، وأنه لمن حقنا أن نعتر بأن
الكثير من القيم التى صار لها مكان فى عالم اليوم كنا نحن من أبرز
المساهمين فى

إننا اذا تحدثنا اليوم عن حق كل دولة فى التحرير الوطنى وفى اختيار
أسلوب تدريباتها الاجتماعية أو عن تجارب الإصلاح الزراعى والتنمية
الصناعية أو عن تحرير الإرادة العربية وسيطرة الأقطار العربية على
ثرواتها وإخراج آخر جندى أجنبى من أراضيها أو عن رفض الدخول
فى مناطق النفوذ والانصياع لأوامر الدول الكبرى أو عن إيجاد كتلة عدم

الانحياز والكتلة الأفريقية والمجموعة الآسيوية الأفريقية وما أثرت به فى حياة العالم بل وحتى عن الانفراج الدولى وابتعاد شبح الحرب العالمية بعد أن لم تعد الدول الصغرى غنائم يتصارع الأقوياء عليها

إننا اذا تحدثنا عن أى حقيقة من هذه الحقائق فسوف نجد لثورة ٢٣ يوليو دورا طليعيا فيها، لم تكن مصر ولم تكن الأمة العربية ولم تكن العلاقات الدولية فى تلك الليلة الخالدة منذ ٢٢ سنة كما هى اليوم .. ولقد ساهم فى هذا التغيير ثوار ورواد كثيرون وشعوب وقيادات كثيرة وكذلك كانت أعلامنا موجودة ماثلة متعرضة للعواصف والأنواء فى كل ساحة من هذه الساحات

أيها الأخوة والأخوات

إن هذه الصفحات من ثورة ٢٣ يوليو صارت الآن ملكا للعالم وملكا للتاريخ ولقد صدرت وسوف تصدر مئات الكتب وآلاف الدراسات فى مختلف أنحاء العالم معلقة على التجربة المصرية من شتى وجهات النظر ولكننى أحب أن أذكر اولئك الذين ينظرون الآن الى الوراء ويحللون ما مضى بأن الأسلوب العلمى الموضوعى لا يكون بتحليل الأحداث خارج الظروف التى جرت فيها .

إن البعض يأخذون على ثورة ٢٣ يوليو ومعاركها ضد الاستعمار ومقاوماتها لمناطق النفوذ ويحسبون ما تحملناه فى هذا السبيل ولكنهم ينسون أن هذه المعارك فرضها علينا الاستعمار ولم نفرضها نحن عليه لأننا ببساطة كنا نطارده وجوده أو نفوذه من بلادنا ولم نكن نهاجم بلاده ، وينسون انه بغير هذه المعارك ما كان ليحسم تاريخ الاستعمار فى العالم

بعد قرون ولو لم نتصد له نحن وغيرنا من الشعوب التي ظلت تلك القرون مغلوبة على أمرها لما صار لهذه الشعوب الوزن الذي لها اليوم ولظل المندوب السامى لهذه الدولة أو تلك كما كان هو الذى يقيم الحكومات ويسقطها ويتخذ القرارات ويلغيها ويخضع مصالح هذه الشعوب لمصالح بلاده ، والبعض يأخذون علي الثورة ، نضالها فى الساحة العربية ، وينسون العائد القومى الضخم من تدمير أسطورة الجزائر الفرنسية ، ومن انسحاب الاستعمار من الخليج واليمن وأطراف الجزيرة العربية ، وينسون الإحباط الذى لحق بمحاولات تقسيم العالم العربى بين شرق وغرب ، وينسون الفشل الذريع الذى منيت به سياسات دولية تقليدية قامت دائما على اساس عزل مصر . والبعض يأخذون على الثورة اختيارها لتجربة اشتراكية مصرية ونضالها من أجل التحول الاجتماعى وتركيزها على اقتحام تجربة التصنيع ولو دفعنا ثمن الأخطار التي تلازم كل تجربة ومن هنا أيضا ينسون أن هذا التحول نحو مزيد من العدالة الاجتماعية هو قانون العالم كله وان تعددت الأشكال والصور وينسون أن عدد السكان في مصر قد زاد الى الضعف خلال سنوات الثورة وحدها

إنه بغير هذا الاستثمار القومى فى هذا الاتجاه لتدهورت حياة الشعب ولانفجرت الصراعات الدموية والتمزقات التي نراها فى بلاد أخرى كثيرة فأخرت فى سلوك هذا الطريق وتحاول اليوم أن تلتحق به .. إننا لا نطلب لتجربتنا الثورية العصمة من النقد ، بل أن حركة التصحيح التي قمت بها فى ١٥ مايو كانت ممارسة عملية وتطبيقية لهذا النقد ، ولكننا فى الوقت نفسه لا يجوز أن نهدر نضالنا القومى بدوافع من الثأر أو

الحقد ولا يجوز لنا ونحن نسجل للثورة أن نتصور أن تحولاً بهذه الضخامة يمكن أن يقع خالياً من الأخطاء والسلبيات ، ولا يجوز أن نقبل محاكمة من قلة معزولة عن واقعنا الاجتماعي ، وعن الظروف القاسية لشعبنا المقيد منذ قرون بأغلال الفقر والتخلف ، لا يجوز أن نقبل محاكمة من قلة سمحت لها ظروفها الاجتماعية أن تعيش بعقلها في أوروبا وأمريكا وبلاد سبقت إلى التقدم والثراء وتظن أن مجرد استعارة بعض مظاهر الحياة هناك هو الحل لمشاكل شعبنا العميقة ، أن هؤلاء في وادٍ ومجموع شعبنا إزاء مشاكله الحقيقية في وادٍ آخر ، وإنما لعازمون علي أننا لا نفقد أبداً تلك البوصلة أو ذلك المؤشر الذي يحدد لنا طريقنا دائماً وهو خدمة مصالح أوسع الجماهير

أيها الاخوة والاخوات

لقد كان قدرني كما تعلمون أن أحمل المسؤولية في ظروف ربما كانت من أخرج الظروف التي يمكن أن يمر بها بلد من البلاد وقد كنت أدرك منذ اللحظات الأولى لتحملي المسؤولية بعد أن فاجأنا القدر باستشهاد جمال عبد الناصر ، نعم باستشهاده وهو يقود آخر معاركه من أجل توحيد كلمة الأمة العربية وإخراجها من حرب أهلية ناشبة ، كما تذكرون جميعاً ، كنت أدرك منذ تلك اللحظات الأولى لتحملي المسؤولية جسامة ما ينتظرني وما سوف يكون عليّ أن أواجهه ، ففي السنوات الأخيرة من حياة عبد الناصر كنا نعمل معاً وكانت هناك أمور كثيرة لا يعرفها سوانا . وهكذا كنت أعرف تماماً ومنذ البداية كل مخاطر الطريق وقد كانت تقتي بالله وبأصالة الشعب وبسلامة فطرته وبرسوخ المبادئ الأساسية لتجربة

٣٢ يوليو هي ما اعتمدت عليه في مواجهة تلك المرحلة التي كانت كما قلت من أخرج مايمكن أن يمر بأي بلد وبأي قيادة من امتحان

كانت مرحلة بالغة الحرج والخطورة فعلا ومن نواح متعددة فمن جهة كانت هناك ثمار نضال وتجربة عمرها ثمانية عشر عاماً أرسينا خلالها الأساس الصلب الذي يمكن أن ننطلق منه الي مراحل جديدة ومع ذلك فقد كانت هذه المكاسب كلها عرضة للضياع التام لو أن النكسه استمرت ووصلت الي نهايتها وبالتالي يفتح الباب لينقض المتربصون علي هذه المكاسب لتدميرها من الأساس

ومن جهة ثانية كان هناك احتلال اسرائيلي يعلن كل يوم عن عزمه علي البقاء تدعمه في ذلك إحدى الدول الكبرى وهي الولايات المتحدة الامريكية ويقترن بهذا طبعا الأعباء المادية الباهظة المترتبة علي ذلك وضغطها علي حاجات المواطنين والضغط النفسي الرهيب الكظيم ازاء استمرار هذا الوضع الجارح لكل نفس

ومن جهة ثالثة كانت هناك تحولات دولية كبرى واتجاه نحو الوفاق الدولي رأي في حالة الركود العربي الشامل مايبيرر له تجاوز مشكلتنا وعدم اعتبارها أحد الاخطار التي تهدد السلام العالمي وبالتالي فلا بأس من أن تمتد حالة اللا سلم واللا حرب ثم تمتد طالما أنها لا تزعج أحدا

ومن جهه رابعة كانت هناك قوي في الداخل ظنت أن وظائفها الرسمية تعطيتها أكثر من حقها الشرعي فبدأت تتصرف بمنطق الوصاية علي هذه الأمة وكان من مصلحة استمرارها في هذه المراكز أن تجمد التجربة المصرية وأن تتجاهل كل الدروس التي تعلمناها قيادة وشعباً من نكسة

٧٦ بهدف واحد هو محاولة تلمس كل سبيل لإدانة وصاياتها وفرض إرادتها

ومن جهة خامسه كانت هناك الي جانب الآلام الكظيمة أمال عظيمة يريد شعبنا أن يمضي اليها ، ويرى من حقه بعد نضال الثمانية عشر عاما أن يقطف ثمارها ولكن كانت هناك كل العقبات السابقة تبدو وكأنها تسد أمامنا الأفق الرحيب وتفرض علينا حيرة وبلبله تجعلنا لا نعرف طريقنا بالضبط ولا ما هو المحط

واخيرا من جهة سادسة كانت هناك الساحة العربية المفككة الحافلة بالشكوك المتبادلة كما كانت هناك في هذه الساحة أيضا سوق رائجة للمزايدات والمناقصات التي لم تكن تحاول أن تنتهج أسلوبا تحليليا علميا لفهم الواقع أو لاكتشاف الطريق الذي يمكن أن يؤدي الي تغيير هذا الواقع

هذه العوامل الستة التي أجملتها والتي يمكن أن أشرح كل ظرف منها شرحا مستفيضا أقول إن هذه العوامل كلها تشابكت وتداخلت بحيث جعلت الظرف الذي توليت المسئولية فيه كما قلت لكم من أخطر الظروف وأخرجها وأكثرها تعقيدا، كانت مجرد حركة واحدة خاطئة أو خطوة واحدة متسرعة أو إذعان للحظة واحدة لضغط داخلي أو خارجي... كان أي شيء من هذا كفيلا بأن يضيع معه كل شيء

ومرة أخرى أقول كان اعتمادي في مواجهة هذه الغابة الكثيفة من الظروف المعقدة المتشابكة وفي الخروج من هذا التيه الشاسع كان اعتمادي علي ثقتي بالله سبحانه وتعالى وبعدالة قضيتنا وبالوطنية

المصرية المستعدة دائما للتحمل والعطاء وكذلك كانت أمامي دائما تلك
الينابيع الأولى التي نبعت منها ثورة ٣٢ يوليو والتي خضنا من أجلها كل
تلك المعارك وواجهنا ما فرضته علينا من تحديات وببساطة كانت تلك
المنطلقات الأولى للثورة التي جمعتنا حول رايتها هي

تحرير الإرادة الوطنية المصرية وجعل القرارات العليا كلها مصرية مائة
في المائة وهي أيضا التمسك بتجربة اجتماعية مصرية لم نقصر خلالها
في الاستفادة من شتي التجارب ولكن بشرط أن تكون صالحة لتربة هذا
الوطن وهي أيضا رفضنا المطلق أن نجمد هذه التجربة الحية في أي
قوالب جامدة سواء كانت من صنعنا أو من صنع غيرنا . ومن تأمل هذه
الينابيع الأساسية سوف يجد أي باحث معني القرارات الأساسية الكبرى
التي اتخذتها خلال تلك الفترة وسوف يجد المنطق الذي يربط بينها جميعا
. كان هناك قرار تحية مراكز القوي كمدخل لابد منه لتحرير الإرادة
الشعبية التي تعزز بحريتها حرية الإرادة الوطنية وكمدخل لابد منه
لمرحلة من إعادة تقييم الماضي وتطويره والاستفادة من تجاربه خصوصا
بعد أن برهنت لي الظروف والتصرفات علي أن تأجيل حسم هذه القضية
سوف يجعل وضع هذه الوصاية الخفية علي الشعب يتفاهم ويضع قيودا
مصطنعة علي التجربة المصرية وكان منطقيا بعد ذلك القرار الثاني
بالبدء وبسرعة في وضع الدستور الدائم وإقامة دولة المؤسسات وترسيخ
مبدأ سيادة القانون وتصفية الاجراءات الاستثنائية التي كان يقيني أن
ضرورتها قد زالت وأن تعزيز أساس العدل الاجتماعي بالأساس الثاني
وهو الحرية السياسية هو أعظم وافعل في ضمان مكتسبات الثورة من أي
إجراء استثنائي خصوصا بعد أن استقرت المبادئ الأساسية لهذه الثورة

وتعمقت جذورها في أضمن تربة وهي ضمير هذا الشعب . ولم نكن خلال هذا كله غافلين عن أن العدو علي شاطيء القناة وعلي أراضي عربية كثيرة وأنه لامحالة آخر الأمر من القتال فلم يعطلنا هذا لحظه واحدة عن التمهيد للمعركة سواء بإعداد المناخ الدولي المناسب أو بترتيب الجبهة العربية قدر الطاقة أو بتعزيز قدرتنا القتالية بكل الوسائل الممكنة . ومع ذلك فمع هذا الإدراك والعمل المستمر كان قرارى الثالث بإنهاء خدمة الخبراء السوفييت بعد أن صار أبناءنا وخصوصا وأن شبابنا المتعلم الجديد الذي هو نتاج حركة التعليم الواسعة التي نهضت بها الثورة أقول أصبح هذا الشباب قادراً علي استيعاب أحدث الاسلحة وأكثرها تعقيدا وكما حدث بالنسبة لكل قرار من هذه القرارات المصيرية تعرض هذا القرار للتفسيرات والتأويلات خصوصا من الاتحاد السوفييتى ذاته وتعرض للحملات التي حاولت أن تصور القرار علي أنه عدول نهائى عن المعركة وأنه صفقة مع أمريكا وكان العكس تماما هو الصحيح لقد أرادت اسرائيل أن تجعل المواجهة بينها وبيننا دائما مواجهة بين روسيا وأمريكا حتى يتجمد الموقف ازاء قضية خطر المواجهة بين الدولتين الاعظم وأردنا نحن أن تكون المواجهة وطنية وقومية تماما نحمل نحن مسئوليتها ونملك بذلك حرية حركة لا نورط بها احدا وهو ما اثبتته الأحداث كلها بعد ذلك كما تعلمون ولعلمكم تذكرون اننى خاطبتكم خلال تلك الظروف وفى مثل هذا اليوم قبل سنتين وقلت لكم وللعالَم بالتحديد إننا نفضل ان يسيل الدم الذكى فى ميدان القتال علي أن نظل أسرى حالة اللاسلم واللاحرب . وقلت أيضا ليس أمامنا سوى أن تنهض الوطنية المصرية والقومية العربية بمسئولياتها التاريخية وليعرف شعبنا وتعرف أمتنا أننا سوف نقاتل فى العراق اذا كان هذا هو ما سوف تفرضه

الظروف علينا. وختمت كلمتى اليكم قائلاً : نحن لا نريد أن نجبر أحداً
علي شيء ولا نريد أن نطلب لأنفسنا شيئاً ولكننا نتساءل أليس هو
المصير العربى كله فى الميزان

أيها الأخوة والأخوات

من هذا المنطلق كان القرار التاريخى بالعبور وببدء حرب أكتوبر المجيدة
بالتسيق التام مع زميلى الرئيس حافظ الأسد والجيش السورى الباسل
والشعب السورى البطل الذى كان دائماً وبحق قلب العروبة النابض

ولعل المناسبة التى يمكن أن أروى فيها المزيد عن هذا القرار وعن
المعركة كلها قد أصبحت قريبة ولكن ما يهمنى أن اسجله هنا هو أن
قرار الحرب هو أخطر القرارات فى حياة أى أمه وفى حساب أى قياس
ومع ذلك فإننا رغم الحرب النفسية واستعدادات العدو الضخمة ومخاطر
ردود الفعل الدولية لم نجفل من اتخاذ القرار حين صار لأبد مما ليس منه
بد

لقد صدر القرار عن إرادة وطنية وقومية خالصة وهو معنى أحرص
دائماً على تأكيده وتكراره أهم ما يجب أن نحرص عليه دائماً فى الحاضر
والمستقبل ولأن تأكيد الإرادة الوطنية كان من المنطلق الأساسى لحركتنا
منذ بدأنا الإعداد لثورة ٢٣ يوليو ولأن معظم ما تعرضنا له طوال ٢٢
سنه من تحديات كان مرجعه حرصنا على حرية هذه الإرادة الوطنية
لأنها اذا رسخت فى ضمير قياداتنا وقواعدنا اليوم وغدا فهى الضمان
الوحيد للمستقبل

وفى تقديرى أن قرار حرب أكتوبر وما أثبتته ضباطنا وجنودنا وشعبنا كله من قدرة وبسالة وثبات قد دعم أمام العالم كله هذا الحرص على حرية إرادتنا الوطنية كما لم يدعمها شيء من قبل

ولقد خضنا المعركة كما تعرفون فاندفعت الأمة العربية كلها وراعنا بالدعم والتأييد المادى والمعنوى عدا أصوات قليلة حاقدة حاولت أن تنتبرا من المعركة منذ يومها الأول وأن تنتبأ بالكارثة واستخدمنا سلاح البترول العربى لأول مرة واندفعت لتأييدنا ومساعدتنا أيضا قوى دولية صديقة وتتبأ حلفاء اسرائيل وفى مقدمتهم الولايات المتحدة بهزيمتنا ورسوموا ردود فعلهم علي هذا الأساس حتى فوجئوا بمعجزة العبور وتدمير خط بارليف وباستغاثة اسرائيل فلم تلبث ان انقلبت تلك التقديرات وبالتالي اندفعت الولايات المتحدة بالذات فى اتجاهين .. الأول : هو إنقاذ اسرائيل من الهزيمة بدعمها عسكريا عبر جسر جوى لم يسبق له مثيل والثانى هو التحرك فى اتجاه محاولة الوصول الى حل بعد أن ثبت لهم بطلان أسطورة التفوق الإسرائيلى المطلق وبطلان قدرتها على الاستيلاء على ما تشاء من الأراضى العربية بغير رادع وبطلان سياستهم السابقة فى تجاهل الشعب الفلسطينى واعتبار مقاومته الباسلة أمراً عابراً سوف يذبل مع الوقت

أيها الأخوة والأخوات

منذ حرب أكتوبر أخذت الأحداث العالمية والسياسات المختلفة ازاء قضيتنا تتخذ مواقف وسبلا مختلفة وجديدة تماما منذ التوصل الى الاتفاق العسكرى للفصل بين القوات على الجبهتين السورية والمصرية ، سرنا نواجه مرحلة مختلفة تماما من حقنا أن نسجل مكاسبها التى هى مكاسب

ما بذلناه من دم ، وأن نسجل أيضا مخاطرها ومحاذيرها ، فنحن نريد أن تكون تقديراننا السياسية دائما متوازنة لا تضللها رياح الإغراق في التفاؤل ولا تعطلها حملات اليأس والتشاؤم منذ سكنت المدافع وتم اتفاق الفصل بين القوات وأعلامنا مرفوعة في سينا وأعلام سوريا مرفوعة في القنطرة لم تسكت حركتنا السياسية ولم تتوقف حرب أكتوبر عن العطاء في شتى المجالات .

لقد صدر قرار جديد من مجلس الأمن ينص على التنفيذ الفوري لقرار ٢٤٢ القاضي بالانسحاب الفوري من الأراضي المحتلة بعد أن كان هذا القرار قد دفن ومات تقريبا وقد تحركت القضية كما لم تتحرك منذ سنه ٦٧ وأدرك العالم أنها لا يمكن أن تستسلم للرقاد مرة أخرى فأسرعت الدول المختلفة وخصوصا الولايات المتحدة تبذل في سياستها وتعيد تقييم نظرتها الى المنطقة العربية وبذلت في ذلك نشاطا كبيرا تعرفونه جميعا واذ كنا قد رحبنا بهذا التغيير وهذا النشاط فإننا نرحب بمثله اذا جاء من أى طرف آخر ونحن نقول بوضوح اننا لا نؤثر ساحة العمل علي التوصل الى حل على أى دولة كبرى دون غيرها وقد ظهر هذا الفارق الحاسم بينما كان قبل اكتوبر وما حدث بعده في مؤتمر القمة الذي انعقد في موسكو مؤخرا بين رئيسى دولتى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة يكفى أن نقارن بين البيان الذى اصدره فى لقاؤهما الأول وتحدثنا فيه عن الاسترخاء العسكرى فى المنطقة وبين بيانها الأخير عن ضرورة الإسراع في التوصل الى الحل والإسراع بعقد مؤتمر جنيف وتسجيل المصالح المشروعة للشعب الفلسطينى . وقد أصبح الوجود الوطنى والحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى أمورا مسلما بها ساهم فى هذا

بالدرجة الأولى نضال الشعب الفلسطيني الباسل وساهمت فيه وسجلته ودعمته حرب أكتوبر التي كان الحصول على هذه الحقوق الفلسطينية أحد أهدافها الأساسية . وقد كان حصولنا لأول مرة على اعترافات دولية خارج العالم العربي بحق الشعب الفلسطيني وأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي له هو ما حدث خلال رحلتي الي رومانيا وبلغاريا .. كان هذا نقطة تحول جديدة وهامة على الطريق حتى إسرائيل ذاتها لم تتمكن من تجاهل هذه التحولات فنشبت فيها مناقشات داخلية حادة لأول مرة حول هذه القضية على مستوى السلطة وداخل مجلس الوزراء الإسرائيلي ذاته على أن هذه النتائج وغيرها لا يجب أن تصرفنا عن المشاكل والمخاطر والمهمات الكبرى التي تنتظرنا والتي تحتاج منا الى حكمة وعزيمة معاً لا تقلان عن الحكمة والعزيمة اللتين أخذنا بهما في قرار الحرب وفي إدارة القتال ذاته على السواء. وفي هذا المجال فإنه من واجبي أن أسجل أمام شعبنا وأمام الرأي العام العربي كله هذه النقاط

أولاً : أنه يؤسفنا حقاً أن نسجل أن بعض مشاكلنا بعد اكتوبر تأتي من بعض الذين هم أصدقاء أو أخوه فان سوء التفاهم بيننا وبين الاتحاد السوفيتي أمر لا نحب له أن يستمر ونحن من جانبنا نحرص على ازالته ، وفي تقديرنا أنه سوف يأتي اليوم الذي سوف يدركون فيه أن بعض تفسيراتهم لسياستنا ليست على صواب كما حدث أكثر من مرة من قبل

كما أنه يؤسفنا أن أخوة لنا في العروبة صارت مهمتهم الوحيدة التشويش علينا أو التشهير بسياستنا واتباع سياسة المن بما ساهموا به في المعركة .. الأمر الذي لا يستقيم مع أى منطق خلقى أو قومي أو حدودى

ثانيا : أن علينا أن نراقب انعكاسات الخلاف أو الوفاق الدولي على قضيتنا بدقة بالغة فالعلاقات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية ومجموعة دول غرب أوروبا علاقات معقدة وتمر بمراحل حساسة ، ورغم أن هذه الأطراف لها قضاياها الخاصة بها من نزع سلاح وأمن أوروبى وعلاقات تجارية واقتصادية إلا أن المرحلة الراهنة حتى فى هذا المجال حافلة بالمتغيرات وهى وإن بدت بعيدة عنا إلا أن لها انعكاساتها على المنطقة العربية كلها لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية وبالتالي على قضية الحرب والسلام فى منطقتنا بالذات وأقرب مثال على ذلك الأحداث الأخيرة المؤسفة فى قبرص ذات الموقع الحساس بالنسبة لأمتنا ومنطقتنا ومن هنا يجب أن نكون متنبهين دائما الى هذه العلاقات وحريصين على أن نبعد انعكاساتها عن قضيتنا وأن نحرص على أن نكون يدا ثابتة فى توجيه دفة أمورنا خلال هذا الموج المتقلب .. وهنا أيضا سياسة الانفتاح التى قد يتصورها البعض اندفاعا غير محسوب سعيا وراء أكثر عدد من مصادر التمويل من أجل مهمات التعمير والتنمية فى حين نراها نحن سياسة تحتاج الى حسابات دقيقة لا تخل بالتوازن الداخلى لتقدمنا ولا تخل بالتوازن الخارجى لاستقلالنا وسيطرتنا على مقدرتنا

وها أنتم ترون نحن نستعد لمرحلة التعمير الكبرى ترون أننا نستقبل القروض والاستثمارات من ايران ومن دول الغرب ومن الدول العربية ومن دول عدم الانحياز وفى نفس الوقت الذى نعمل فيه على احياء الاتفاقات القديمة مع دول المعسكر الشرقى التى كانت ظروف النكسة تعطل الاستفادة منه

وهناك أيضا محاولات إسرائيلية التي لم تنقطع لإجهاض آثار حرب أكتوبر سواء بالتعطيل والتسويق أو بالمغامرات العسكرية ضد لبنان التي لا يمكن أن تترك الى غير ما حد أو باستخدام قوى الضغط الصهيوني داخل امريكا التي ما زالت تمارس تأثيرها فى مجالات كثيرة

ثم أن أمامنا قضية توحيد الصف العربى الى أقصى درجة ممكنة وخصوصا التنسيق بين الأطراف العربية المرشحة لحضور مباحثات جنيف فى مراحلها التي ستكون مضمينة وأن نناضل فى سبيل كسب حق الفلسطينيين فى الحضور كشعب له قضية وله الحق فى تقرير مصيره وأن نزن كذلك احتمالات حضور لبنان أيضا فى المؤتمر حين تجد دول المواجهة ويجد لبنان مصلحة عربية عليا فى هذا الحضور . إن من أهم الأسلحة اللازمة لنا لمواجهة المرحلة السياسية المقبلة التي ندرك مخاطرها ومحاذيرها أكثر مما يدركها غيرنا من هواه الكلام أن يكون الصف العربى موحدا قدر الطاقة وراء جبهة الحل ووراء احتمال القتال

ولا شك أن أعقد مشكلة على هذا الطريق هى مشكلة العلاقة - بين الأردن وبين الفلسطينيين وممثلتهم الشرعية منظمة التحرير . ونحن نعرف أن هذه المشكلة حساسة وشائكة واليمة لنا جميعا فى نفس الوقت ولكننا هنا فى مصر إحساساً بمسئولية دورنا قد تعودنا أن نأخذ على عاتقنا دائما أن نتصدى لأعقد المشاكل اذا كان لا بد من مواجهتها ، بل وأقول إننا تعودنا ان نتلقى بصدورنا أول السهام خصوصا الذين يفضلون لأنفسهم أن يكونوا متفرجين أو الذين يريدون أن يقطعوا الثمار دون أن تلمس أصابعهم النار ... تلك مسئوليتنا ونحن نتحمل تبعاتها ولهذا فإننا فى الوقت الذى أكدنا فيه التزامنا المطلق بتأييد حق الشعب الفلسطينى فى

التعبير عن إرادته من خلال منظمته الشرعية الوحيدة بل وأكدنا فيه هذا الالتزام عمليا بتجميع أكبر قدر من التأييد الدولي لهذه الحقيقة أكدنا أيضا بصراحة أن من خطوط سياستنا التي تمليها المصلحة العربية العليا العمل على التنسيق بين دول وقوى المواجهة بما فيها الأردن لأننا بغير هذا التنسيق فإننا نخسر معركة المرحلة المقبلة قبل أن تبدأ ولأنه لا بديل لهذا التنسيق سوى حرب اهلية عربية يهدأ بها بال إسرائيل وتستريح من عناء المواجهة

وقد قطعنا في المباحثات الأخيرة مع جلالة الملك حسين مرحلة نعتقد مخلصين إذ انها أساسية وهامة لقد اسقطت حكومة الأردن كل تحفظاتها التي تمسكت بها في كل المؤتمرات العربية والدولية على صفة منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني وقبلت حكومة الأردن منطقتنا في أن الضفة الغربية وديعة لديها كما كانت غزه وديعة لدى مصر حتى يقرر شعبها ما يشاء واعترفت للمنظمة بحق الحضور المستقل في مؤتمر جنيف حيث يستطيع الفلسطينيون هناك أن يطرحوا قضيتهم من الزواية التي يرونها وصار الطريق مفتوحاً لكي تلتقى الأطراف الأربعة على خط المواجهة على قدم المساواة لبحث المجالات المتاحة في التنسيق بينها وأحب أن اعلق على هذه المسائل بكلمات قليلة تضع بعض الأمور في النصاب إننا لا ننوب عن الفلسطينيين ولا عن غيرهم في تقرير شئونهم كما يحاول بعض ذوى النوايا السيئة ان يصوروا الأمور ، فهم في النهاية أى الفلسطينيون هم أصحاب الرأى فيما يقبلون ويرفضون ، وهم فى هذا يواجهون مسئوليتهم التاريخية كاملة ونحن أيضا لا نطلب الوصول الى مواقف متطابقة وبالتالي لا نتصور

البدء من مواقف متطابقة وأنا نبذل جهدنا من أجل التقريب بين المواقف المتباعدة وأن نوحّد أراضيه يمكن للطرف أن يتحدثوا منها كما شاء لهم من الحديث ونؤمن كما قلنا أن كل مبدأ في هذا المجال يجب أن يبذل وأنه لا بديل للتنسيق سوى التناقض وإفلات إسرائيل من مواجهة جنيف المقبلة وتمكينها من اللعب على التناقضات العربية ونحن في هذا نعتقد أن المصالح القومية والمصلحة الفلسطينية العليا بالذات يجب أن تكون أعلى وأهم حتى من أقصى الذكريات والذين يظنون أن هذا الطريق أمام قضيتنا سهل مفتوح واهمون ... إنه طريق نشقه بأظافرنا وناضل من أجله نضالاً سياسياً عنيفاً مصحوباً بكل الضغوط الممكنة

أن إسرائيل ترفض حتى الآن رفضاً قاطعاً حضور الفلسطينيين وهي تستخدم في هذا السبيل كل ما لديها من أساليب وامكانيات لأنها تعرف أن مجرد حضورهم اعتراف بهم بصفتها أحد اطراف جنيف . ليس هناك ما يساعدها على هذا أكثر من انعدام موقف عربي منسق إنها معركة قاسية قد لا يبدو لكم على السطح إلا بعض جوانبها معركة علينا أن نخوضها وليست غنيمة سهله معروضه علينا ثم أنه قبل كل شيء وبعد كل شيء لا يجوز مطلقاً أن يغفل أو نخفل غيرنا عن الحقيقة الأساسية وهي أن المعركة مازالت قائمة وأن الاحتلال الإسرائيلي مازال يدنس أراضي عربية كثيرة وأنه لا بد لنا من أن نعلى من قدرتنا القتالية يوماً بعد يوم ، لأن القتال مرة أخرى هو دائماً الحل الذي لا مفر منه اذا لم يفتح الطريق حقاً أمام السلام واذا لم تعد كل الحقوق العربية الى أصحابها في أجل مقبول ... نحن انذ حين نضع تصورنا الكامل للمرحلة الراهنة لا نخفل عن مخاطرها ولا نستهيّن باحتمالاتها ومن هنا كان تأكيدى على أهمية

الاستمرار بالاستعداد للمعركة وعلى أهمية المحافظة على أكبر درجة من التضامن العربى وعلى ضرورة العمل من أجل الاحتفاظ بصدقتنا الدولية وبنتهاج سياسة تضيف الى هذه الصداقات وتقوى بالتالى موقفنا العام فى هذه المرحلة الحساسة التى نستقبلها

أيها الأخوه والأخوات

إننى بعد هذا كله استقبل المرحلة المقبلة بنفس عامرة جدا إن الأوراق الرابحة فى أيدينا تتكاثر ولا تقل وأن ما برهن عليه شعبنا وما برهنت عليه قواتنا المسلحة يمكن أن يتكرر البرهان عليه مرات ومرات . ونحن لا نتحدث بلغتين بل بلغة واحدة ونحن لا نخفى شيئا إذ أنه ليس لدينا ما نخجل منه ولكننا نصارح الجميع بكل ما فى تصورنا ... أن العالم لم يسمح لنا بهزيمة اسرائيل هزيمة كاملة وهذا ما نقوله صراحة ونقول أيضا إننا لن نحارب العالم كله ولكننا حققنا انتصارا قطعت به قضيتنا شوطا ليس له مثيل ونحن دعاء استقرار وسلام وتعمير وبناء لأننا نؤمن بأن المستقبل معنا ونحن فى نفس الوقت لا نزعم أننا ننوب عن المستقبل وعن الأجيال المقبلة أن جيلنا عليه مسئوليات وفى مقدمتها أن نسلم الرسالة والراية للأجيال المقبلة من أرضية أقوى وأرحب ، وعلى الأجيال المقبلة أن تنهض بمسئولياتها ونحن على إستعداد دائم للحوار بصدر رحب مع كل صديق حقيقى أو صديق محتمل ومع كل طرف عربى له اجتهاد آخر بشرط الجدية والأمانة ازاء المصالح الحقيقية العليا لهذه الأمة ولكننا فى نفس الوقت صرنا فى موقف يسمح لنا بأن نتجاهل المزايادات الكلامية وأن نترفع عن المهاترات وأن لا نخضع لمحاولات الاستفزاز أو الابتزاز . إننا لا نقبل أى من أحد وكما قلت لكم قبل

سنتين أقول اليوم إن هذا الشعب الذى تحمل ما تحمل مازال مستعدا لأن
يقاقل وحده فى العراء اذا اقتضى الأمر ذلك

أيها الأخوة والأخوات

لقد جربنا الصمود العسكرى واجتزنا امتحانه الطويل جربنا الصمود
الاقتصادى دون أن نشكو ، جربنا الصمود النفسى فى وجه حملات
التشكيك ، ونحن الآن فى حاجة أكثر من أى وقت مضى الى ما يمكن أن
اسميه بالصمود الفكرى ، فى حاجة الي أن نحفظ برؤوسنا هادئة رغم
الاستنزافات ولنثق فى حساباتنا رغم حملات التشويش وأن نتمسك
بمبادئنا عالية مهما هبت علينا العواصف

إن شعبنا قد يقتر فى طعامه وثيابه ، وقد يتحمل ضائقة الحياة حتى وأن
كثر المستفيديون من حوله ولكن شعبنا لن يفرط فى أرض ولا كرامة ولا
فى استقلال ولا ارادته ولا فى مسئولية رسالته . لقد عرف شعبنا طوال
حياه .. النضال وخبر ضروراته ، وقد أخرج شعبنا فى كل جيل أبطاله ،
وقدم فى كل امتحان أعز شهداء فالمجد والخلود لهذا الشعب العظيم
المؤمن وهذه الأمة العربية ، العريقة والمجد والخلود لأبطال يوم ٢٣
يوليو ٥٢ ولأبطال ٦ أكتوبر ١٩٧٣ أنهما أعظم يومين فى حياة هذا
الشعب وهذه الأمة خلال قرون طويلة وأن نورهما سوف يظل مضيئا
وهاديا عبر أجيال طويلة قادمة

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك انت
الوهاب

والسلام عليكم ورحمة الله

